المركز الوطني
لتطوير المناهج
National Center
for Curriculum
Development

كتيّبُ نصوصِ الاسْتِماعِ

الصَّفُّ الثَّامنُ

الْفَصْلُ الدِّراسيُّ الأَوَّلُ

الوَحدةُ الأولى: أَحسِنوا جوارَكُم

حسنُ الجوارِ

- كانَ لِأبي حنيفةَ جارٌ بالكوفةِ إسكافٌ، يعملُ نهارَه أجمعَ، حتّى إذا جنَّهُ الليلُ رجعَ إلى منزلِه، وقد حملَ لحمًا فَطبخَه، أو سمكةً فَيشويهَا، ثمَّ لا يزالُ يأكلُ ويشبعُ حتّى إذا دَبَّتِ السَّعادةُ فيهِ غَنَّى بصوتٍ عالٍ، وهوَ يقولُ:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلا يَزالُ يردّدُ هذا البيتَ حتّى يأخذَهُ النّومُ، وكان أبو حنيفةَ يسمعُ جَلَبَتَهُ، وأبو حنيفةَ كانَ يصلّي الليلَ كلَّهُ، فَفَقدَ أبو حنيفةَ صوتَهُ، فسألَ عنهُ، فقيلَ لهُ: أخذَهُ العَسَسُ منذُ ليالٍ وهوَ محبوسٌ، فصلّى أبو حنيفةَ صلاةَ الفجرِ منْ غدٍ، وركبَ بغلتَهُ، واستأذنَ على الأميرِ. قالَ الأميرُ: إيذَنوا لهُ، وأَقْبِلوا به راكبًا، ولا تَدَعوهُ ينزلُ حتَّى يطأَ البساطَ، ففعلَ. فلمْ يزلِ الأميرُ يوسِّعُ لهُ منْ مجلِسِهِ، وقالَ: ما حاجتُكَ؟ قالَ: لي جارٌ إسكافٌ، أخذَهُ العَسَسُ منذُ ليالٍ، يأمرُ الأميرُ بتخليتِهِ؟ فقالَ: نعمْ، وكلِّ مَنْ أُخِذَ بتلكَ اللّيلةِ إلى يومِنا هذَا، فأمرَ بتخْليتِهِمْ أجمعينَ.

فركبَ أبو حنيفةَ، والإسكافُ يمشي وراءَه، فلمّا نزلَ أبو حنيفةَ مضى إليهِ، فقالَ: هل تَرى يا فتًى أنّا أضعْناكَ؟ قالَ: لا، بلْ حُفظتُ ورُعيتُ. جزاكَ اللهُ خيرًا عنْ حرمةِ الجوارِ

أَمْسَحُ الرَّمْزَ

ورعايةِ الحقِّ. وتابَ الرجلُ، ولمْ يعُدْ إلى ما كانَ منهُ.(*)

(بتصرُّف)

- باع أبو الجَهْمِ العدويُّ دارَهُ، وكانَ في جوارِ سعيدِ بنِ العاصِ، بمِئةِ ألفِ درهمٍ، فلمَّا أحضرَها المشتري قالَ لهُ: هذَا ثمنُ الدّارِ، فأعطِني ثمنَ الجوارِ. قالَ: أيُّ جوارٍ؟ قالَ: جوارُ سعيدِ بنِ العاصِ. قالَ: وهلْ اشترى أحدٌ جوارًا قطُّ؟ قالَ: رُدَّ عليَّ داري، وخُذْ مالَكَ. لا أدَعُ جوارَ رجلٍ إنْ قعدتُ سألَ عني، وإنْ رآني رحَّبَ بي، وإنْ غبتُ حفظَني، وإنْ شَهدْتُ عندَهُ قرَّبني، وإنْ سألتُهُ قضى حاجتي، وإنْ لمْ أسألْهُ ابتدرَني، وإنْ نابتني نائبةٌ فرَّجَ عنّي.

فبلغَ ذلكَ سعيدًا، فبعثَ إليهِ مِئةَ ألفِ درهمٍ، وقالَ: هذَا ثمنُ دارِكَ، ودارُكَ لكَ.

- يُروى أنَّ رجلًا كانَ جارًا لأبي دُلَفَ ببغدادَ، فأدركَتْهُ حاجةٌ وركبَهُ ديْنٌ فادحٌ حتَّى احتاجَ إلى بيعِ دارِهِ، فساوموهُ فيها، فسمَّى لهمْ ألفَ دينارٍ، فقالوا لهُ: إنَّ دارَكَ تساوي خمسَمئةِ دينارٍ. فقالَ: أبيعُ داري بخمسمئةٍ وجوارَ أبي دُلَفَ بخمسمئةٍ. فبلغَ أبا دلفَ الخبرُ، فأمرَ بقضاءِ دينِهِ وَوَصَلَهُ، وقالَ: لا تنتقلْ منْ جوارِنا.

---

* الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987. (الجزء الثالث عشر/ ص: 360-361).

- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للنشر والتوزيع، ط1، بلا تاريخ. الجزء السابع عشر/ الصفحات (9-10).

الوَحدةُ الثَّانيةُ: وَحدتُنا قُوَّتُنا

إضاءاتٌ على خطابِ العرشِ السَّامي

لجلالةِ الملكِ عبدِ اللهِ الثَّاني ابنِ الحسينِ المعظَّمِ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ النَّبيِّ العربيِّ الهاشميِّ الأمينِ

حضراتِ الأعيانِ، حضراتِ النُّوابِ،

السَّلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ وبعد،

فباسمِ اللهِ، وعلى بركةِ اللهِ، نفتتِحُ الدَّورةَ الرَّابعةَ لمجلسِ الأمَّةِ الثَّالثَ عشرَ، ونسألُهُ سبحانَهُ وتعالى العونَ والتَّوفيقَ في حملِ أمانةِ المسؤوليَّةِ، والنُّهوضِ بالواجبِ، وخدمةِ شعبِنا الخيِّرِ، وتحقيقِ ما يصبو إليهِ منْ تقدُّمٍ ورفعةٍ وازدهارٍ.

ويتابعُ جلالتُهُ: يأتي انعقادُ هذهِ الدَّورةَ لمجلسِكم الكريمِ، ليؤكِّدَ على سلامةِ مسيرتِنا الدِّيمقراطيَّةِ وحرصِنا جميعًا على ترسيخِ جذورِ هذهِ المسيرةِ، وفتحِ الآفاقِ أمامَها، وصولًا بها إلى المستوى الَّذي يليقُ بشعبِنا، وطموحاتِه النَّبيلةِ في التَّنميةِ والحياةِ الكريمةِ، والمستقبلِ المشرقِ بإذنِ اللهِ.

وانطلاقًا منْ هذهِ الرؤيةِ، فلا بدَّ لَنا منَ العملِ المخلصِ الجادِّ، منْ أجلِ إعادةِ تأهيلِ وإعدادِ الإنسانِ الأردنيِّ، وفتحِ المجالِ أمامَ

أَمْسَحُ الرَّمْزَ

مواهبِهِ الخلَّاقةِ، ولا بدَّ منْ إعادةِ النَّظرِ في العديدِ منَ التَّشريعاتِ والأنظمةِ الَّتي تعيقُ المسيرةَ، ووضعِ التَّشريعاتِ والقوانينِ، الَّتي تمكِّنُنا منْ تحديثِ أجهزةِ الدَّولةِ ومؤسَّساتِها، والارتقاءِ بقدرتِها على العملِ والإنجازِ.

وفي موضعٍ آخرَ يُضيفُ جلالتُهُ: إنَّ العالمَ منْ حولِنا ينظرُ بعينِ التَّقديرِ والإعجابِ لِما تحقَّقَ وأُنجِزَ في هذَا الوطنِ عَبرَ العقودِ الماضيةِ. وهذَا ينبغي أنْ يكونَ حافزًا قويًّا لَنا لمواصلةِ المسيرةِ، ومواجهةِ التَّحدِّياتِ، والإقدامِ على التَّحديثِ والتَّطويرِ، والتَّغييرِ نحوَ الأفضلِ بثقةٍ وتفاؤلٍ وعزمٍ وتصميمٍ. وقد آنَ الأوانُ لتجاوزِ حالاتِ التَّشاؤمِ والسَّوْداويَّةِ، والخوفِ منَ التَّغييرِ أو الانتقاصِ ممَّا تحقَّقَ أو سيتحقَّقُ في المستقبلِ بإذنِ اللهِ.

ويؤكِّدُ جلالتُهُ قائلًا: أمَّا قوَّاتُنا المسلَّحةُ وأجهزتُنا الأمنيَّةُ، فهيَ درعُ الوطنِ ورمزُ كرامتِهِ وعينُهُ السَّاهرةُ وذراعُهُ القويَّةُ، وهيَ موضعُ الثِّقةِ والفخرِ والاعتزازِ، وستعملُ حكومتي على توفيرِ كلِّ ما تحتاجُ إليهِ لتطويرِ قدراتِها وإمكانيَّاتِها بما يتلاءمُ والتَّقدمَ السَّريعَ في عالَمِ الإعدادِ والتَّجهيزِ مؤكِّدينَ أمامَ مجلسِكمْ الكريمِ أنَّ حقوقَ الإنسانِ وحرِّيَّاتِهِ وصوْنَ كرامتِهِ وتوفيرَ الأمنِ وضمانَ الاستقرارِ منظومةٌ واحدةٌ متكاملةٌ لبناءِ الأردنِّ القويِّ، دولةِ المؤسَّساتِ وسيادةِ القانونِ وواحةِ الحريَّةِ والدِّيمقراطيَّةِ واحترامِ حقوقِ الإنسانِ.

ويستكملُ جلالتُهُ قائلًا: لقدْ كانَ الأردنُّ وسيظلُّ بعونِ اللهِ وفيًّا

لمبادئِ الثَّورةِ العربيَّةِ الكبرى ورسالتِها في الحريَّةِ والوحدةِ، وستظلُّ وَحدتُنا الوطنيَّةُ مصدرَ الفخرِ والاعتزازِ وموضعَ حرصنا جميعًا على صوْنِها وحمايتِها؛ فنحنُ نؤمنُ بأنَّ هذهِ الوَحدةَ أمرٌ مقدَّسٌ وخطٌّ أحمرُ لنْ نسمحَ لأحدٍ بتحاوزِهِ أو الخروجِ عليهِ بأيِّ شكلٍ منَ الأشكالِ، وسنظلُّ في طليعةِ أبناءِ أمَّتِنا في الدِّفاعِ عنْ حقوقِها والعملِ منْ أجلِ مستقبلِها. ونحنُ في الأردنِّ ملتزمونَ ضمنَ الإجماعِ العربيِّ بعمليَّةِ السَّلامِ الَّتي استندتْ إلى الشَّرعيَّةِ الدَّوليَّةِ لتحقيقِ السَّلامِ الدَّائمِ والعادلِ والشَّاملِ الَّذي يُعيدُ الأرضَ المحتلَّةَ إلى أصحابِها الشَّرعيِّينَ، وستواصلُ حكومتِي جهودَها منْ أجلِ دفعِ المسيرةِ السِّلميَّةِ، وتمكينِها منْ تحقيقِ التَّقدُّمِ المنشودِ على جميعِ المساراتِ، وستستمرُّ في دعمِ الأشقَّاءِ الفلسطينيِّينَ وإسنادِهمْ حتَّى يتمكَّنوا منَ استعادةِ حقوقِهم، وإقامةِ دولتِهم المستقلَّةِ على ترابِهم الوطنيِّ وعاصمتُها القدسُ.

ويتمِّمُ جلالتُه قائلًا: إنَّ مسيرةَ الوطنِ تحتاجُ إلى جهدٍ مخلصٍ وعملٍ دؤوبٍ وعزيمةٍ ماضيةٍ وتعاونٍ مثمرٍ بينَ أبناءِ أسرتِنا الأردنيَّةِ الواحدةِ، لنبنيَ جميعًا مستقبلَ الأجيالِ في وطنٍ آمنٍ مستقرٍّ ومزدهرٍ بإذنِ اللهِ.

وأسألُ المولى عزَّ وجلَّ أنْ يوفِّقنا جميعًا، ويسدِّدَ على طريقِ الخيرِ خُطانا، خدمةً لوطنِنا وأمَّتِنا.

والسَّلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ،،

- خطابُ العرشِ في افتتاحِ الدَّورةِ العاديَّةِ الرَّابعةِ لمجلسِ الأمَّةِ الأردنيِّ الثَّالثَ عشرَ 2000/11/25

الوَحدةُ الثَّالثةُ: حكاياتُ المدائنِ في الأسفارِ

مأدبا فُسيفُساءُ الشَّرقِ

وتبدأُ رحلةُ الذّاتِ إلى جنوبِ عمّانَ وعلى مساحةٍ منَ الجُغرافيَّةِ الأردنيّةِ، ها أنتَ أيّها السّائرُ الحائرُ تتواجهُ معَ السّهلِ والجبلِ، وتلكَ الهضابِ والنُّزوعاتِ الجبليَّةِ الّتي يتجاوزُ ارتفاعُها 774 مترًا، كجبلِ نيبو وجبلِ مكاورَ وجبالِ الفَيصليَّةِ.

مأدبا فيها حكاياتُ استقرارٍ عنْ حالِ الإنسانِ الأردنيِّ الّذي توارثَ الوطنَ وسرحَ في المَراحِ والبيادِرِ والسّهولِ والجبالِ والوديانِ وحتّى الكهوفِ! هي مأدبا الأرضُ والإنسانُ والجَمالُ، تَراها صحراءَ وريفًا وباديةً، وترى روحَكَ تَتَنَسّمُ صفاءَ النّفسِ عبرَ مساجِدِها وكنائسِها، ويتوسّطُكَ الإنسانُ على ترابِها معَ خصْلاتِ العنبِ ونفَحاتِ الرُّطَبِ!

ولعلَّ النّاظرَ إلى اسمِ مأدبا في المصادرِ العربيّةِ والمخطوطاتِ، يرى أنّهُ لفظٌ آرامِيٌّ سُرْيانيٌّ، ويَرجعُ تاريخُها إلى العصرِ الحديديِّ الأوّلِ قبلَ الميلادِ، وإنّهُ إلى القرنِ الثّاني عشرَ قبلَ الميلادِ كانتْ مأدبا مدينةً مؤابيّةً، إلى أنْ حكمَها الملكُ ميشعُ الّذي جعلَ ذيبانَ عاصمةً لهُ.

مأدبا أرضُ الفسيفساءِ والضّوءِ، أرضٌ تنبضُ بمحتوىً منَ التّاريخِ والموروثِ الزّاخرِ بقصصِ المعالمِ الأثريّةِ وروعةِ تلكَ الشّاهدةِ:» أرضيّةُ

أَمْسَحُ الرَّمْزَ

الفسيفساءِ النّادرةُ الّتي تعودُ إلى العهدِ البيزنطيِّ، في كنيسةِ الرّومِ الأُرثوذكسيّةِ، وهيَ منْ كنائسِ مأدبا الّتي تُشعُّ بالضّوءِ والبَخُورِ، وتحتوي على أقدمِ خريطةٍ أصليّةٍ للأرضِ المقدَّسةِ والّتي تبدأُ منْ منابعِ دِجلةَ والفراتِ وحتى مَنابعِ النّيلِ، إضافةً إلى القدسِ وبيتَ لحمَ. كما تَزخرُ الخريطةُ بِكَمٍّ هائلٍ منَ الأحجارِ المَحليّةِ ذاتِ الألوانِ المشرقةِ، وتعرضُ رسومًا للتّلالِ والأوديةِ والقُرى والمدنِ الّتي تصلُ إلى دِلتا النّيلِ.

وتظهرُ عشراتٌ منَ المروجِ الفسيفسائيّةِ الّتي وُجدتْ في كنيسةِ العذراءِ وكنيسةِ الرّسلِ، وفي مُتَنَزَّهِ مأدبا الأثريِّ تتجسّدُ فيهِ مختاراتٌ منَ الأزهارِ والنّباتاتِ والطيورِ والأسماكِ والحيواناتِ، وبعضُ مشاهدِ الحكايا والأساطيرِ ذاتِ الأثرِ الناشئِ عنْ رحلاتِ المستشرقينَ والبدوِ والرُّهبانِ وهُواةِ الصّيدِ كصيدِ الطّيورِ والأسماكِ، والعملِ بالزّراعةِ.

ولِمعهدِ فنِّ الفسيفساءِ منّي السّلامُ، زرتُ معهدَ فنِّ الفسيفساءِ، فكانتْ رحلةً لتعزيزِ فكرةِ الإيمانِ بأهمِّيَّةِ فنوننا وحضارتنا، وهوَ الأثرُ العلميُّ والأكاديميُّ، ومَنجمٌ لذاكرةِ الأرضِ وفنونِ الإنسانِ على هذهِ البِنى. هوَ معهدٌ تعليميٌّ لكلِّ ما يتعلّقُ بفنِّ الفسيفساءِ، وقدْ تمَّ افتتاحُهُ عامَ 2014 م بهدفِ تأهيلِ طلبةٍ ومبدعينَ لربطِهم فنيًّا وأكاديميًّا بسوقِ العملِ والسّياحةِ منْ خلالِ التّدريبِ والتّأهيلِ والتّشغيلِ، على أسسٍ واضحةٍ تتبادلُ الأدوارَ معَ التّاريخِ والجمالِ والتّعريفِ بالأردنِّ الحضاريِّ، كما شهدَتْ تواريخُ مأدبا تطوّرًا علميًّا بوجودِ الجامعاتِ

فيها مثلِ الجامعةِ الألمانيّةِ الأردنيّةِ والجامعةِ الأمريكيّةِ.

وللزّراعةِ حِكايةٌ في مأدبا، نراها على رَغْمِ الصّحراءِ منطقةً زراعيّةً مأهولةً وخصبةً، طريقُها متاحٌ ومتشعّبٌ على رغمِ كثافةِ استخداماتِهِ؛ فشهدَتْ تواريخُ مأدبا الحضريّةُ وجودَ المشاريعِ الزراعيّةِ، خصوصًا في وادي الهيدانِ وأمِّ الرّصاصِ وماعينَ ومليحٍ، وواكبَتْ حكايةَ الزِّراعةِ حركةٌ صناعيّةٌ، إذْ نجحَ ذلكَ التَّطوُّرُ بوضعِ مأدبا على خريطةِ البناءِ والتّنميةِ.

وعلى الطّريقِ جبلٌ ينحازُ إلى خلايا الشّرقِ باتّجاهِ الغربِ منْ مدينةِ مأدبا، جبلُ نيبُّو في مدينةِ نيبُّو المطلَّةِ على البحرِ الميّتِ ووادي الأردنِّ ووادي رمٍّ، فيستطيعُ النّاظرُ منْ قمّةِ جبلِها أنْ يرى بالعينِ المجرّدةِ البحرَ الميِّتَ وجبالَ البلقاءِ، وكلَّ فِلَسطينَ بما فيها قُبّةُ مسجدِ الصّخرةِ والمسجدُ الأقصى وأبراجُ الكنائسِ في مدينةِ القدسِ، حتّى شواطئِ البحرِ الأبيضِ المتوسّطِ ولبنانَ وجبلِ الشّيخِ وسيناءَ.

وهنا نشاهدُ قوّةَ مركزِ المدينةِ ونموَّ حركةِ السّياحةِ الموسميّةِ والمحليّةِ والدينيّةِ، وهوَ الأمرُ الّذي يذكّرُنا بمراحلِ إنشاءِ مدينةِ مأدبا الحديثةِ، على إثْرِ نزوحِ الكثيرِ منْ أبناءِ العشائرِ والمدنِ المجاورةِ إليها، وهمْ منْ عملوا في الزّراعةِ وتربيةِ المواشي والتّجارةِ، عدا عنْ خدمةِ الواقعِ السّياحيِّ للمدينةِ وما جاورَها منْ آثارٍ.

حسين دعسة، جريدةُ الرَّأيِ الإلكترونيَّةِ 13/ 5/ 2016 (بتصرف)

الوَحدةُ الرَّابعةُ: روائعُ منَ الأدبِ العالميِّ

حُلمٌ في بلدِ الرِّجالِ الصِّغارِ*

دونَ أنْ أعرفَ السّببَ وجدتُني واقفًا أمامَ بابِ الرّجالِ الصِّغارِ، وعلى البابِ نقرأُ الأحكامَ الآتيةَ:

- ملعونونَ مَنْ هُم أكثرُ سعادةً مِنَّا!
- ملعونونَ مَنْ هُم أذكى منَّا!
- احترِموا مَنْ هُم أشقى منَّا، وأكثرُ بلادةً أو حِطَّةً!
- أثنُوا على مَنْ هُم أكثرُ ألمًا وفقرًا منَّا!

ودونَ أنْ أعرفَ كيفَ حصلَ الأمرُ، كنتُ قدْ أصبحتُ منْ سكَّانِ هذا البلدِ، والحقُّ أن السكَّانَ هنا يأخذونَ هذهِ الوَصايا على مَحمَلِ التّطبيقِ، فنَراهُم يَأْسَونَ لتعاسةِ الآخَرينَ، ولكنْ لا يُحسُّونَ بأيِّ رغبةٍ في إسعادِهِم، وذلكَ لأنّهمْ يحبُّونَ الانتباهَ لسعادتِهم الخاصّةِ. والمريضُ هنا يستثيرُ الشّفقةَ لدى الجميعِ، ولكنْ لا أحدَ يبتهجُ لهُ إذا ما شُفيَ.

وقد حدَثَ أنِ الْتقيتُ المرأةَ ذاتَ الشّهرةِ الفائقةِ بجمالِها، فإذا بها الأشدُّ ذَمامةً. ولأنَّها تُعدُّ جميلةً، فإنَّ وعيَ النِّساءِ الأُخرياتِ أنَّهُنَّ يتخطّيْنَها بشاعةً يُفْعِمُهُنَّ ارتياحًا. أمَّا الجميلاتُ الحقيقيّاتُ، فإنهنَّ مقتنعاتٌ، تحتَ تأثيرِ الانتقاداتِ، بأنَّهنَّ الأكثرُ قُبحًا.

أَمْسَحُ الرَّمْزَ

وأشهرُ جبلٍ في هذا البلدِ هوَ الأقلُّ ارتفاعًا، إنَّهُ الأشرفُ؛ إذ يُحتقرُ الجبلُ العالي لغرورِهِ وتعجرُفِهِ.

وإنَّكَ لَتجِدُ الجميعَ يفتتنونَ بجمالِ العُشبِ المُصفَرّ قائلينَ: «ما أجملَ هذا!» ولكنْ إذا ما أطْرَيتَ جمالَ وردةٍ؛ فستُعَدُّ شخصًا متخلِّفًا.

والشّخصُ الّذي يُشارُ إليهِ في هذا البلدِ بمتفوِّقِ الذكاءِ، هوَ في الواقعِ تراهُ تائهًا كلَّ يومٍ متعطِّلًا، لا يعرفُ كيفَ يميِّزُ شِمالَه منْ يمينِهِ، وإذا نُعِتَ بالذَّكاءِ لا يُغتبطُ لذلكَ مُطلقًا، ثمَّ إنَّهُ لا يَغضبُ البتّةَ مهما لحِقَ بهِ؛ يَظلُّ حتّى لو صُبَّتْ عليهِ أقسى اللّعناتُ، والكلُّ يتلذَّذُ بالسُّخريةِ منْهُ.

في هذا البلدِ تجري العادةُ بأنْ يُظهِرَ واحدٌ سُخفَهُ، وإذا سَمحَ أحدٌ لنفسِهِ بأنْ يَشِفَّ عنْ بريقٍ منْ ذكاءٍ؛ فإنَّهُ يُتَّهمُ بالوقاحةِ والادِّعاءِ على الرّغمِ منْ سُخفِهِ.

والمثلُ الأعلى لهذا البلدِ هوَ أنْ تقارِنَ التّافهينَ بالتّافهينَ، وبقدْرِ ما تكونُ وَضيعًا تحظى بالاحترامِ، وأقلُّ خصلةٍ هيَ مكروهٌ.

وحينَ سألتُ أحدَهُم عنْ هذا الوضعِ أجابَني: «إنّنا نتألَّمُ كثيرًا بمقدارِ ما لا نستطيعُ تحمُّلَ أفراحِ الآخرينَ. وإظهارُ السّعادةِ هوَ فعلٌ إجراميٌّ يثيرُ غَيرةَ الآخرينَ وكراهيَّتَهُم.

قديمًا كانَ الرّجالُ المقاتلونَ مُلزَمينَ بأنْ يحتفظوا بالبسمةِ حتّى في لحظاتِ الألمِ منْ أجلِ مداهنةِ سادتِهِمْ، أمّا نحنُ فليستْ بنا حاجةٌ إلى أن نُداهنَ أحدًا، حينَ نتألَّمُ ينعكسُ ذلكَ على وجوهِنا.

أضـفْ إلـى هـذا أنَّ فعلَنـا يُفهِـمُ الآخريـنَ بأنّهـم ليسـوا وحدَهـم الّذيـن يتألّمـونّ؛ إنَّـهُ عمـلٌ خيـريٌّ.

أعتقـدُ أنَّـكَ علـى صـوابٍ جزئيًّـا، ولكـنْ حتّـى لـو أَخفيـتُ دموعي فأنـا أفضِّـلُ أنْ أضحكَ.

إنّـكَ تَهْـرفُ؛ فأنـتَ لـو فعلـتَ هـذا دونَ أنْ تَحتـاطَ لنفسِـكَ، فإنّهـمْ لـن يَهْنـؤوا بـالًا إلا عندمـا يجعلونَـك تبكـي.

وهكـذا فقـد أخـذتُ احتياطـي دونَ الضّحـكِ. وذاتَ يـومٍ وأنـا أتجـوَّلُ، اقتـربَ منِّـي رجـلٌ صغيـرٌ وهـوَ يترنَّـحُ مـنَ التّعـبِ، وباغتَنِـي بالسّـؤالِ: إلـى أيِّ شـيءٍ تنظُـرُ اللّحظـةَ؟

: كنتُ أنظرُ إلى الجبلِ، هناكَ في الأعلى.

: هلْ تحبُّ هذا الجبلَ؟

: أوَليـسَ هـوَ الأكبـرَ؟ أجبتُـهُ دونَ خلفيَّـةٍ تُذكـرُ: كبيـرٌ! ... وهـلِ الكِبْـرُ شـيءٌ يُعجِـبُ؟ إنّهـا مُنتهـى العجرفـةِ أنْ تكـونَ كبيـرًا.

: إيْ نعمْ! هذا صحيحٌ

: إنّنـي أغفـرُ لـكَ عملَـكَ فـي هـذهِ المـرّةِ، ولكنِّـي إذا مـا ضبطتُـكَ تُعجَـبُ مـرّةً أُخـرى بهـذا الجبـلِ؛ فلـنْ أسـامحَكَ مُطلقًـا، سـأُخبرُ الجميـعَ، وسـأقدِّمُ ضـدَّكَ شـكوى قائـلًا إنَّـكَ طَمـوحٌ وتسـتمتعُ بشـقاءِ الآخَريـنَ.

فوعدتُهُ بأنّني منذُ الآنَ سأُبدي الاحتراسَ اللّازمَ.

وبعدَ أنْ قطعتُ بضعَ خطواتٍ، عُدتُ أفكِّرُ في ما جرى بينَنا، وألفيتُني فجأةً مأخوذًا بطرافةِ هذا الشّيءِ؛ فانفجرتُ ضاحكًا، ثم إنّني وقدْ تبيَّنتُ خطأَ ما فعلتُ، وضعْتُ راحتي على فمي، ولكنْ بعدَ فواتِ الأوانِ؛ فقدْ لحقَ بيَ الرَّجُلُ الصّغيرُ لاهثًا وهوَ يسألُ: «ما الّذي يُضحكُكَ؟ وما العَجَبُ في ذلكَ؟ سأشكوكَ بتهمةِ احتقارِ أعصابِ الآخرينَ.»

: اغفرْ لي، أرجوكَ.

ما مِنْ أحدٍ يمكنُ أنْ يَتصوَّرَ أنَّ منَ الممكنِ سماعَ مثلِ هذا الضّحكِ في بلدٍ يتألَّمُ فيهِ الجميعُ.

: أوَتحسبُ أنَّكَ وحدَكَ مَنْ يُحسُّ بالأهميّةِ؟

: كلَّا إنّكَ مُخطِئٌ

: عليكَ أنْ تتبعَني

أخذني إلى مكانٍ تجمَّعَ فيهِ قومٌ كثيرونَ.

: أنصِتوا جميعًا. أرى أنَّ هذا الرَّجُلَ يستحقُّ عقوبةَ الموتِ.

: أيَّ فعلةٍ ارتكبَ؟

: إنَّهُ في وَضَحِ النّهارِ، ودونَ حياءٍ، أُعجِبَ بالجبلِ الّذي نكرهُهُ أشدَّ الكُرهِ.

: إذا كانَ ما تقولُ صحيحًا فعقوبتُهُ الموتُ.

ثـمَّ إنَّـهُ ضحـكَ بمـلءِ شِـدْقَيهِ وأفسـدَ علـيَّ تمامًـا رصانـةَ تفكيري، ولـوْ أنَّكـمْ سـمعتُم هـذا الضّحِـكَ، لانقطعَـتْ شـهيَّتُكُم عـنْ كلِّ طعـامٍ أيّامًـا طويلةً.

: الموتُ لهُ، الموتُ لهُ

وهنـا اسـتيقظتُ وجسـدي غـارقٌ فـي العرَقِ...هـوَ حُلْمٌ فحسـبُ... هوَ حلْـمٌ فحسـبُ، وابتسـمتُ.

---

* موشـانوكوجي سـانيتزو، اختـار هـذهِ القصـة أحمـد المدينـي فـي كتابـهِ: الليمـونُ قصـصٌ مـنَ اليابـانِ والصِّيـنِ.

الوَحدةُ الخامسةُ: مِنْ أسرارِ الكونِ

فلسفةُ التّفاحةِ*

متى يَشرعِ الطّفلُ يستوعبُ شيئًا منَ الأحداثِ الّتي تطرأُ عليهِ يَشرعْ أيضًا سائلًا عنْ أسبابِ بعضِها، ممّا يراهُ مستجدًّا أوْ مُغايرًا لِما تكرَّرَ لهُ وألِفَهُ، يسألُ مثلًا: لماذا لا يَخْطفُ الكلبُ قطعةَ الجُبنِ عنِ المائدةِ، وهوَ يَعهدُ الكلبَ يأكلُ القطعةَ نفسَها إذا رآها على الأرضِ؟ ولماذا ليسَ لهُ نَدبةٌ في يدِهِ كما في يدِ آخرَ رآهُ لأوّلِ مرّةٍ، وهوَ يَظنُّ أنَّ النَّدبةَ خِلقةٌ في اليدِ؟ ونحوَ ذلكَ؛ أعني أنّهُ منذُ يَشرعُ يَظنُّ أنَّ لكلِّ شيءٍ سببًا، وتَكثرُ على الطّفلِ الأسئلةُ كما هوَ معلومٌ.

ولكنّهُ لا يسألُ البَتّةَ لماذا تَطلعُ الشّمسُ كلَّ صباحٍ منْ وراءِ أفقِ الشّرقِ وتَغرُبُ وراءَ أفقِ الغربِ؟ ولا يسألُ لماذا لا يستطيعُ أنْ يرفعَ حجرًا كبيرًا وهوَ يستطيعُ أنْ يرفعَ حصاةً؟ ولا يسألُ لماذا العصفورُ يطيرُ وهوَ لا يطيرُ؟

إنَّ ما وعى لهُ أوَّلًا وهوَ يراهُ كلَّ يومٍ لا يَسألُ عنْ سببٍ لهُ؛ لاعتقادِهِ أنّهُ أمرٌ طبيعيٌّ، فكأنّهُ بَدَهِيٌّ عندهُ، وأمّا ما يُستجدُّ لإدراكِهِ وشعورِهِ فيَوَدُّ أنْ يعرفَ لهُ سببًا.

ما أكثرَ البَدَهِيّاتِ عندَ الطّفلِ! فطلوعُ الشّمسِ وغيابُها وإحراقُ النّارِ وألمُهُ، والجوعُ والعطشُ والنّعاسُ إلى غيرِ ذلكَ ممّا لا يُحْصَى كلّهُا بَدهيّاتٌ عندَ الطّفلِ، ولكنْ عندَ النّاضجينَ

أَمْسَحُ الرَّمْزَ

ولا سِيّما المُثقّفينَ فلكلِّ هذهِ أسبابٌ أوْ لا بدَّ منْ تعليلِها وتفسيرِها وتبيانِ علّلٍ لها، حتّى لطلوعِ الشّمسِ كلَّ صباحٍ وغيابِها كلَّ مساءٍ أسبابٌ كما هوَ معلومٌ مهما تراءَيا بَدَاهَتينِ.

وقدْ تطوَّعَ بعضُهمْ لإنكارِ كلِّ بَدَهيَّةٍ حتّى البدهيّاتِ الرياضيّةِ كقولِكَ: «الخطُّ المستقيمُ هوَ أقصرُ مسافةٍ بينَ نقطتينِ» و«الخطّانِ المتوازيانِ لا يلتقيانِ» و«العددانِ اللّذانِ يُساوي كلٌّ منهُما عددًا ثالثًا هما مُتساويانِ». والحقيقةُ أنَّ هذهِ الأوّليّاتِ ليستْ بدهيّاتٍ، وإنّما هيَ تعريفاتٌ، فإذا قلْنا: الخطُّ المستقيمُ هوَ أقربُ مسافةٍ بينَ نقطتينِ عَنينا أنَّ النّاسَ اصطلَحُوا على تسميةِ أقربِ مسافةٍ بينَ نقطتينِ بالخطِّ المستقيمِ، فكأنَّ الكلمةَ وتفسيرَها مترادفانِ، وكذلكَ سَمَّوا الخطّينِ اللّذينِ كيفَما امتدَّا على سطحٍ واحدٍ لا يلتقيانِ خطّينِ متوازيينِ، وقضيةُ الخطوطِ أوْ الكميّاتِ الثّلاثةِ المتساويةِ كلٌّ منهما يساوي كلًّا منَ الخطّينِ الآخرينِ أو الكميَّتينِ الأُخريينِ هيَ تحصيلُ حاصلٍ، كما أنَّ الأربعةَ تُساوي 2 و 2 هي تحصيلُ حاصلٍ.

معنى ذلكَ أنّهُ ليسَ ثمّةَ شيءٌ بَدَهيٌّ بالمعنى الّذي نَقصِدهُ، العقلُ لا يعرفُ شيئًا بالبداهةِ كما نَظنُّ، وإنّما يعرفُه بتكرارِ الملاحظةِ حتّى يعتقدَ أنّهُ شيءٌ طبيعيٌّ لا يحتاجُ إلى برهانٍ فسمّاهُ «بَدَهِيّةً»، ولا شيءَ أشدُّ بداهةً منْ قولكَ: لا يوجدُ شيءٌ في مكانينِ في وقتٍ واحدٍ معًا.

وإذا سألتَهُ: لماذا تسقطُ التّفاحةُ عنِ الشّجرةِ إذا تقادمَ نُضجُها؟

لماذا لا ترتفعُ في الفضاءِ؟ استجنَّكَ لهذا السّؤالِ؛ لأنّهُ لا يرى سببًا لهذا الشّيءِ المألوفِ عندَ جميعِ العقولِ منذُ آدمَ إلى اليومِ، وهوَ أنَّ الأشياءَ تسقطُ إلى تحتُ ولا ترتفعُ إلى فوقُ منْ تلقاءِ نفسِها، أو إذا لم تُقْذَفْ قذفًا بقوَّةٍ، وأخيرًا مصيرُها أنْ تهبطَ إلى تحتُ، هذا أمرٌ بدهيٌّ عندَهُ، كما أنَّ طلوعَ الشّمسَ صباحَ غدٍ، وموجَ البحرِ وما إلى ذلكَ، كلُّ هذا بدهيّاتٌ عندَهُ.

ولكنَّ نيوتنَ لمْ يسلِّمْ أنَّ سقوطَ التّفاحةِ شيءٌ بدهيٌّ، بلْ قدَّرَ لهُ سببًا، وجعلَ يفكّرِ في السّببِ. لمْ يخطرْ لأحدٍ أنْ يبحثَ عنْ هذا السّرِ العجيبِ الغامضِ، ولكنَّ نيوتنَ لمْ يقتنعْ بهذهِ البداهةِ، فَرَامَ فَهْمَ لماذا سقطتِ التّفاحةُ أمامَ نظرِهِ منْ تلقاءِ نفسِها ولمْ ترتفعْ إلى فوقُ؟ اكتشفَ أنَّ لذلكَ السّقوطِ فرضيّةً نظاميّةً رياضيّةً، وظهرَ بعدئذٍ للعلماءِ أنَّ ظواهرَ الطّبيعةِ تحتاجُ تدبُّرًا، وكذلكَ لسقوطِ الأجسامِ منْ أعلى إلى أسفلَ ناموسٌ طبيعيٌّ رياضيٌّ، وهوَ ما جعلَ نيوتنَ يفكّرُ ويبحثُ عنْ هذا النّاموسِ.

---

* فلسفةُ التُّفاحةِ: جاذبيةُ نيوتن، نقولا حدَّاد، الكنزي للنَّشرِ والتَّوزيع، 2023 .